

روح المعاني

ما هو مكروه كأنه مطلوب لأجله من حيث كونه مفضيا إليه و إحداهما الثانية يجوز أن تكون فاعل تذكر وليس من وضع المظهر موضع المضمّر إذ ليست المذكرة هي الناسية ويجوز أن تكون مفعولا لتذكر والأخرى فاعل وليس من قبيل ضرب موسى عيسى : كما وهم حتى يتعين الأول بل من قبيل أرضعت الصغرى الكبرى لأن سبق إحداهما نسبة الضلال رافع للضلال والسبب في تقديم المفعول على الفاعل التنبيه على الإهتمام بتذكير الضال ولهذا كما قيل عدل عن الضمير إلى الظاهر لأن التقديم حينئذ لا ينبه على الإهتمام كما ينبه عليه المفعول الظاهر الذي لو آخر لم يلزم شيء سوى وضعه موضعه الأصلي وذكر غير واحد أن العدول عن فتذكرها الأخرى وهي قراءة ابن مسعود كما رواه الأعمش إلى ما في النظم الكريم لتأكيد الإبهام والمبالغة في الإحتراز عن توهم إختصاص الضلال بإحدهما بعينها والتذكير بالأخرى وأبعد الحسين بن علي المغربي في هذا المقام فجعل ضمير إحدهما الأولى راجعا إلى الشهادتين وضمير إحداهما الأخرى إلى المرأتين فالمعنى أن تضل إحدى الشهادتين أي تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى منهما وأيده الطبرسي بأنه لا يسمى ناسي الشهادة ضالا وإنما يقال : ضلت الشهادة إذا ضاعت كما قال سبحانه : ضلوا عنا أي ضاعوا منا وعليه يكون الكلام عاريا عن شائبة توهم الإضرار في مقام الإطهار رأسا وليس بشئ إذ لا يكون لإحداهما أخرى في الكلام مع حصول التفكيك وعدم الإنتظام وما ذكر في التأييد ينبئ عن قلة الإطلاع على اللغة .

ففي نهاية ابن الأثير وغيرها إطلاق الضال على الناسي وقد روي ذلك في الآية عن سعيد بن جبير والضحاك والربيع والسدي وغيرهم ويقرب هذا في الغرابة مما قيل : إنه من بدع التفسير وهو ما حكى عن ابن عيينة أن معنى فتذكر الخ فتجعل إحداهما الأخرى ذكرا يعنى أنهما إذا إجتمعتا مانتا بمنزلة الذكر فإن فيه قصورا من جهة المعنى اللفظ لأن التذكير في مقابلة النسيان معنى مكشوف وغرض بين ورعاية العدد لأن النسوة محل النسيان كذلك ولأن جعلها ذكرا مجاز عن إقامتها مقام الذكر ثم تجوز ثانيا لأنهما القائمتان مقامه فلم تجعل إحداهما الأخرى قائمة مقامه وبعد التجوز ليس على ظاهره لأن الإحتياج إلى إقتران ذكر البتة معهما وقوله سبحانه : فإن لم يكونا رجلين ينبئان عن قصورهما عن ذلك أيضا وإلتزام توجيه مثل ذلك وعرضه في سوق القبول لا يعد فضلا بل هو عند أرباب الذوق عين الفضول ولقد رأيت في طراز المجالس أن الخفاجي سأل قاضي القضاة شهاب الدين الغزنوي عن سر تكرار إحدى معرضا بما ذكره المغربي فقال : يا رأس أهل العلوم السادة البرره ومن نداه على كل الورى نشره ماسر تكرار إحدى دون تذكرها في آية لذوى الإشهداد في البقرة وظاهر الحال إيجاز الضمير

على تكرار إحداهما لو أنه ذكره وحمل الإحدى على نفس الشهادة في أولاهما ليس مرضيا لدى
المهره فغض بفكوك لإستخراج جوهرة من بحر علمك ثم ابعث لنا درره فأجاب القاضي يا من
فوائده بالعلم منتشره ومن فضائله في الكون مشتهره يا من تفرد في كشف العلوم لقد وافى
سؤلك والإسرار مستترة